المستوي التركيبي في الدعاء القرآني

رائدة علي پور
طالبة دكتوراه في اللغة العربية و آدابها
r.alipourr@yahoo.com
الأستاذ المساعد الدكتور
محمد جواد اسماعيل غانمي
قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الاسلامية فرع آبادان - إيران
jghnemy@yahoo.com

الملخص

يتميز الدعاء القرآني بتعبيره الفنّي و أسلوبه الجزل و صياغته المحكمة. استهدف هذا المقال دراسة أسلوبية للمستوي التركيبي في الدعاء القرآني الذي يلعب دوراً هامّاً في بنيوية الدعاء و مكوناته التركيبية مستخدماً المنهج الوصفي التحليلي و تشير نتايج البحث الي أنّ السمات التركيبية في الدعاء تتجلّي في استخدام الجمل الإنشائية و الخبرية و توظيف الجمل الإسمية و الفعلية و صلتها بنوع الدعاء و تنوّع صيغه كالأمر و النهي و الإستفهام.و اختيار الألفاظ و الجمل لم يكن أمراً تصادفياً بل انها تميزت بالدقة و قوّة التأثير في المتلقي و أنّ التناسق الفني قد ظهر بين الجمل و معانيها بصورة واضحة.

الكلمات الرئيسية

الأسلوبية،الدعاء القرآني،المستوي التركيبي،الصيغ، الجمل و انواعها.

١. المقدمة

يعدّ الدعاء من أبرز أساليب القرآن الكريم و دليل مستقل من دلائل إعجازه العظيم ، شأنه شأن القرآن الكريم كلّه إذ تميزت تعابيره و جمله بخصائص ميزتها عن كل منظوم و منثور فجاءت متناسقة ، منسجمة و ألفاظه وارفة بالأسرار البلاغية .

الأسلوبية «علم يعني بدراسة الآثار الأدبية دراسة موضوعية .و تعني بالتحليل اللغوي للنصوص ، والكشف عن فنياته ،لذا فهي «دراسة الخصائص اللغوية التي

يتحول بها الخطاب عن سياقة الإخباري الي وظيفته التأثيرية الجمالية.» (السدّ ، ١٩٩٧ م: ٩٣) للأسلوبية مستويات عديدة منها المستوي التركيبي و الصوتي و الدلالي و البلاغي و مايهمنا في بحثنا هذا هو المستوي التركيبي في الدعاء القرآني الذي يتناول دراسة الأساليب و الصيغ المستخدمة في بنيوية الدعاء كالأمر و النهي و الإستفهام و دراسة الجمل و انواعها كالجمل الإسمية و الفعلية و الغرض من استخدامها.

«الجملة هي عنصر الكلام الأساسي ، اذ يحصل بوساطتها الفهم و الإفهام بين مختلف المنتفعين باللغة.و يحول المنتفع مادة فكره الي كلام معبّر،بوساطة الجمل،و يتكلّم و يتواصل بوساطتها كذلك. و اعتبر علماء الألسنية الجملة،الصورة الصغري للكلام المقيد،أي الكلام الذي يخضع لمتطلبات اللغة و نواميسها.»(الحسيني،٢٠٠٤ م: ١٩٥) و قد عرّف النحاة الجملة بإنها هي الكلام المركب من كلمتين اسندت احداهما الي الأخري و هما المسند و المسنداليه و علي هذا الأساس قسمت الجملة الي قسمين: الجملة الفعلية و الجملة الإسمية.

١.١ أهداف البحث

١.تبيين و تحليل الأساليب المستخدمة في تكوين الهيكل البنائي في الدعاء القرآني كالأسلوب الخبري و الأسلوب الإنشائي و الغرض من إستخدامها.
٢.تبيين و تحليل الجمل الإسمية و الفعلية و الغرض من استخدام كل منها.
٣.التاكيد علي التناسق بين الصيغ و الجمل و نوعية الدعاء.

٢.١ منهج البحث

لاشك ان طبيعة الموضوع هي التي تحدّد المنهج الواجب إتباعه للإحاطة بأهم جوانبه ، و علي ذلك اعتمدنا في بحثنا عليالمنهج الوصفي- التحليلي الذي يساهم في تحليل بعض آيات الدعاء و الكشف عن اساليبه و صيغه التي تكوّن بنيوية الدعاء القرآني.

٣.١ اسئلة البحث

١. ما هي انواع الأساليب و الصيغ المستخدمة في المستوي التركيبي في الدعاء القرآني؟
٢.ما هي انواع الجمل المستخدمة في تركيبة الدعاء القرآني؟

٣.ما هي صلة الجمل الفعلية و الإسمية بنوعية الدعاء؟

٤.١ فرضيات البحث

١- تنوع صيغ الدعاء من الإمر و النهي و الإستفهام مما يضفي جمالًا و روعة علي المعني و يكشف سحره اللغوي.

٢-يأتي الدعاء احياناً بالأسلوب الخبري لأغراض شتي منها التفاؤل في تحقق المطلوب أو لأظهار الحرص في وقوع أو تحقيقاً لثبوته.

٣.الغرض من استخدام الجمل الإسمية،اثبات الصفة و استقرارها و الجمل الفعلية للإستمرار التجددي.

٥.١ خلفية البحث

توجد دراسات علمية متنوعة في الدعاء القرآني،تناولته من جوانب شتّي نذكر منها دراسة باللغة الفارسية تحت عنوان : «جلوه‌هاي بلاغي دعا در قرآن كريم»للدكتورمحمد خاقاني و الباحثة كبري رحيمي نوكاني في جامعة إصفهان، عام ١٣٨٦ش ، دُرس فيه الوجوه البلاغية في الدعاء القرآني و الإعجاز البلاغي في إختيار الألفاظ و المعاني و أنواع الجمل المستخدمة في الدعاء.

قدّمت الباحثة بهية بنت حامد اللحياني رسالة علمية تحت عنوان : «الدعاء أساليبه مقاصده و أسراره » ، بجامعة أم القري عام ٢٠٠١م ،تناولت أساليب الدعاء و صيغه و الأسرار البلاغية.

قدّمت الباحثة وداد محمد طاهر رسالة علمية تحت عنوان :«دعاء الأنبياء في القران الكريم» ، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، عام ٢٠١٠ م تناولت فيها تعاريف الدعاء و مشتقاتة دراسة موضوعية.لكن ما تمّ بحثه في هذه الدراسة يختلف منهجياً عمّا قدّمته تلك الدراسة.

الدعاء لغةً

الدعاء مصدر لفعل دعو، « و هو طلب الطالب للفعل من غيرهِ.»(ابن سيدة،بلا تا،مادة د.ع.و)

و « اَنَّ اَصل الدعاء مصدر من "دعوتُ الشيء" أدعوهُ دعاءً ، أقاموا المصدر مقام الإسم: تقولُ سمعتُ دعاءً كما تقول سمعتُ صوتاً.»(الزبيدي،بلا تا،مادة د.ع.و)

و قد ذكرالدعاء في اللغة بأنَّه ُ:« الرغبة إلي الله تعالي».(ابن منظور،١٩٩٨ م : مادة د.ع.و)

و ذكر معانٍ اُخري للدعاء منها؛ «الدَّعوة إلي الطعام : بالفتح، والدَّعوة في النسب: بالكسر ... و داعية اللبن مايترك في الضرع ليدعو مابعده و تداعت الحيطان وذلك اذا سقط واحدٌ و آخر بعدُه فكأنما الأول دعا للثاني.» (ابن فارس،١٤٢٢ ق،ص ٢٧٩-٢٨٠)

الدعاء اصطلاحاً

للدعاء تعريفات كثيرة في الإصطلاح منها: «الرغبة إلي الله والعبادة.» (ابوالبقاء ، ١٩٨٢، ص٤٤٧) و منها ان الدعاء «كلام إنشائي دال علي الطلب مع خضوع و يسمي سؤالاً.» (التهانوي ، ١٤١٨ه ، ص ١٤٢) ، عرّفه ابن الجوزي بأنه «طلب الأدني من الأعلي لتحصيل الشيء.» (ابن الجوزي ، ١٤٠٤ه ، ٢٩٢) ، كما عرّفه الخطابي بأنه «استدعاء العبد ربه العناية و استمداد اياه بالمعونة، و حقيقة الدعاء إظهار الافتقار والبراءة من الحول والقوة التي له، و هو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، و فيه معني الثناء علي الله »(الخطابي،١٩٩٢م،ص٤)

الخصائص اللفظية في الدعاء القرآني

إذا ألقينا نظرة تأمّلية علي الدعاء القرآني، من جهتي صناعته اللغوية و البيانية، لوجدنا اَنّه مُسدَّدَ اللفظ، محكم الوضع، جزل التركيب، متناسب الأجزاء في التأليف، فهو كلام فخم الجملة، واضح الصلة بين اللفظ و المعني المراد. كذلك نجد الدعاء القرآني، بياناً واضح التفصيل، و كلاماً ظاهر الحدود، جيد الرصف، بديع الاشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان، ولانري فيه إجابة و لا استكراهاً، ولانجد فيه إضطراباً ولا ضعفاً من أي وجهٍ.

والعبارة في الدعاء القرآني، ليس فيها تكلف و تصنع بل متواصلة متدفقة، تمرُّ علي الخاطر كالنسيم الطيب و تلجُ في مسارب الآذان بعذوبة الألحان. كما اَنَّ ألفاظه، واضحة، سلسة و متدفقة بكلّ عذوبةٍ ورقّةً و هذا مايعَبّر عنه بالفصاحة اللفظية.

استهلال آيات الدعاء بلفظ «الرب» الذي يفيد الخصوص، دون لفظ الجلاله(الله) الذي يفيد العموم، مع اضافته لضمير المتكلم(ي - نا) دون استخدام حرف النداء (يا) نحو: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ ﴾ (طه : ٢٥) أو: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ (آل عمران : ٨) ألا تُري ما هو السرّ في حذف (ياء) النداء؟

والجواب :« انّ في مواطن الدعاء لم يرد في القرآن نداء الله تعالي بحرف النداء «يا» قبل (ربّ) البتة، و انّما بحذفهافي كلّ القرآن و السرّ البلاغي في ذلك، انّ (يا) النداء تستعمل للنداء البعيد و الله تعالي أقرب لعبدهِ من حبلِ الوريد فكان مقتضي البلاغة حذفها.» (الشيخلي،٢٠١٥م،ص٥٢)، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (البقره : ١٨٦)

«و لَعلَّ في ذلك تعبيراً عن شعور الداعي بقربه من ربّه و الدعاء خطاب و مقام الخطاب مقام مشاهدة و حضور فلا تناسبه(يا) كقوله تعالي ﴿ لَا رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا ﴾ (البقره : ٢٨٦)

امّا الآية الكريمة: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الزخرف: ٨٩-٨٨) هي الآية الوحيدةالتي سبق فيه(الربّ) بحرف النداء (يا)، و لعلَّ في ذلك ايحاء بحاله نفسية خاصّة ألّمَّت بالرسول و قد أفرغَ جهده في دعوة قومه و إنذارهم فلم يزدهم الّا تمادياً في كفرهم فأطبق الهَمّ علي فؤادهِ طلباً للنصرة فكأنّما شعر بتخلّي الرّب عن نصرته و بعده أن يمدّ إليه العون، فأتي بحرف النداء زيادةً في الضراعه إلي الله و استجلاب رضاهُ. » (بدوي،٢٠٠٥م،ص١٦٩)

المستوي التركيبي في الدعاء القرآني

تنوّع المستوي التركيبي في الدعاء القرآني و تلوّنت صيغه و أساليبه، وهذا من فريد نظم لغته،مما يضفي جمالاً و روعةً علي معناه و يكشف سحره اللغوي.من صيغ الدعاء في القرآن نذكر ما يلي:

١-اسلوب الأمر: هو أحد أنواع الإنشاء الطلبي و يراد به، طلب حصول الفعل من المخاطب علي وجه الاستعلاء و قد يخرج الأمر عن معناه الأصلي إلي معانٍ بلاغية تعرف من السياق و قرائن الأحوال.و ما يهمنا في بحثنا هذا هو خروج الأمر إلي معني الدعاء،فالدعاء هو «الطلب علي وجه التضرّع و الخضوع نحو:﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ٢٨ ﴾ (نوح: ٢٨) و يكون من الأدني الي الأعلي منزلةً.» و من أكثر صيغ الدعاء وروداً فعل الامر المخاطب علي وزن (إفعل) كما في قوله تعالي علي لسان ابراهيم:﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ ﴾ (الشعرا:٨٥-٨٤) و قد تكون صيغة الأمر غير (إفعل) و علي وزن (فعّل و تفعّل) نحو قوله تعالي : ﴿ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ ﴾ (آل عمران :١٩٣)

الصيغة الثانية التي جاء بها فعل الأمر فهي المصدر النائب عن فعل الأمر حيث جاءت مرةً واحدة في قوله تعالي:(غفرانك ربّنا و إليك المصير) أي إغفر لنا،(البقرة ٢٨٥) .

٢-النهي:«هو طلب الكفّ عن الشيء علي وجه الإستعلاء، و اعلم، اَنَّ النهي كالأمر، فيكون استعلاءً مع الأدني، ودعاءً مع الأعلي و التماساً مع النظير.» (الهاشمي،١٩٤٣م،ص١١٤)

و قد يخرج النهي عن معناهُ الحقيقي إلي معانٍ اُخر مجازاً منها الدعاء كقوله تعالي: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ ﴾ (نوح:٢٦)

وقد تجتمع الصيغتان معاً (النفي والإيجاب في آنٍ واحدٍ) نحو: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦ ﴾ (البقرة: ٢٨٦)

٣-الدعاء بالأسلوب الخبري: جاء الدعاء بأسلوب الخبر الذي يقع موقع الإنشاء لأغراض شتّي منها: التفاؤل في تحقق المطلوب او تحقيقاً لثبوته او لإظهار الحرص في وقوعه نحو قوله تعالي :﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الأنبيا:٨٧).فجملة (لا اله الّا انت) تعد دعاءً و ان لم يكن ظاهراً و الدليل علي دعاءه قوله تعالي :﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (الأنبيا:٨٨).

و كذلك دعاء أيوب (عليه السلام) في قوله تعالي:﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (الأنبياء:٨٣) «فأيوب لم يدع الله صراحةً بل عرض حاجته في أدب و أطلقها علي حياء من الله فعرض و كنّي عن طلبه رفع البلاء.» (اللحياني،٢٠٠١م،ص٤١)

٤-الدعاء باسلوب الإستفهام: قد يخرج الإستفهام عن معناه الأصلي إلي معانٍ بلاغية تفهم من السياق و منها للدعاء نحو قوله تعالي علي لسان موسي (عليه السلام):﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ أي لاتهلكنا،« فهذا إستفهام علي سبيل الإدلاء بالحجّة في صيغة استعطاف و تذلّل » (الأندلسي،١٩٩٢م،١٨٩) و كذلك قوله تعالي : (فاعترفنا بذنوبنا فهل إلي خروجٍ من سبيل) أي "أخرجنا" (غافر:١١) و من الدعاء القرآني ايضاً «أعوذ بالله، معاذَ الله» نحو قوله تعالي: ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (البقره: ٦٧). و ايضاً : ﴿قالَ معاذَ الله انّهُ ربّي أحسنَ مثواي﴾ (يوسف: ٢٣)»

لهذا نستنتج إنّ أكثر أساليب الدعاء القرآني بأسلوب الأمر ثم يليه النهي ثم الخبر و اقلّها باسلوب الإستفهام.

هناك نوع آخر من الدعاء في القرآن الكريم و هو الدعاء بالشر و فيه تهديد و وعيد من الله و هو قليل في القرآن،و يأتي بألفاظ مختلفة منها بلفظ الويل نحو:(ويلٌ لكلّ همزةٍ لمزةٍ)(الهمزه:١) و نحو: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ﴾ (المطففين :١) وقد يأتي الدعاء مصدّراً بالمصدر المنصوب نحو قوله تعالي: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ﴾ (محمد: ٨) ،أي (هلاكاً لهم) و قالَ تعالي: ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (هود: ٦٨) ،و ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾ (هود: ٦٨) ، والبُعد هنا: الهلاك.

و من الدعاء بالفعل الماضي قوله تعالي«تَبَّت يدا أبي لَهَب. . .» أي ضَلّتا و خسرتا. (المسد: ١)

و كذلك دعاء إبليس : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(ص:٧٩).....(لأغوينّهم اجمعين الّا عبادك منهم المخلصين)﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (ص:٨٣) فيه عناد و تكبّر و تحّدٍ و لم يتناول بحثنا هذا النوع من الدعاء لأنه يفقد أهم شروط الدعاء الأساسية و هو التذلّل و التضرّع.

- الجمل الأسمية و الجمل الفعلية:

انّ الجمل بنوعيها الأسمية و الفعلية تتناوب التعبير في الدعاء القراني تأتي الجملة الإسمية عند ما يراد اثبات الصفة و استقرارها ، و تأتي الجمل الفعلية عند ما يراد تصوير الصفة بشكل متجدّد.

فالجمل الأسمية هي التي يكون صدرها اسماً صريحاً أو مؤُولاً في محل رفع أو اسم فعل أو هي التي صدرها حرف مشبهة بالفعل ، امّا الجمل الفعلية فهي التي يتصدرها فعل تام أو ناقص.

و من أمثلة الجملة الأسمية في الدعاء القرآني قوله تعالي ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾) (الفاتحة:١)

فنظم الآية ، يفيد اَن الحمد ثابت للّه تعالي و أنّه - سبحانه – كان محموداً فكل حمد الحامدين له فسواء منهم حمدوا أو لم يحمدوا ، فهو محمود من الأزل إلي الأبد بحمده القديم و كلامه القديم .

و من امثلة الجملة الأسمية ايضاً قوله تعالي:﴿ رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ (ابراهيم:٣٧)

جاءت الجملة الأسمية) رَبَّنا انّي اسكنتُ (من خلال المبتدأ الذي يدل علي الرب و قد اضيف إلي (نا) المتكلمين ليعزُّز هذه الدلالة أي ربنا و لاغير ربّ آخر يكي يكون الكلام بعد هذا المبتدأ تحت علمه وارادته و حفظه من السكن عندالبيت الحرام و من أمثلة الجملة الفعلية قوله تعالي في سورتي المعوذتين ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ ﴾ (الفلق : ١) ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ﴾ (الناس:١)

و تفيد الجملة الفعلية (أعوذ) ، الأستمرار التجدّدي لكون فعلها مضارعاً و ايضا من أمثلة الجملة القعلية قوله تعالي﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ (الفاتحه :٦) و الغرض من ذلك طلب الدوام و الإستمرار للهداية .

أنواع الدعاء في القرآن الكريم

يقسّم الدعاء في القرآن الكريم الي قسمين:

١- دعاء العبادة والثناء

٢- دعاء الطلب والمسألة

١- دعاء العبادة والثناء: «ما كان فيه السؤال لذات الله، بأحد اسمائه أو صفاته و ما فيه إقرار بألوهيته. و هو عبارة عن التوحيد والثناء علي الله و ما كان خوفاً و طمعاً و رجاءً و يشتمل علي جميع انواع العبادة الظاهرة والباطنة من الأقوال والاعمال والنيات والتروك التي تملأ القلوب بعظمة الله و جلاله»(طاهر،٢٠١٠م،ص ٦١)، و من آيات دعاء العبادة قوله تعالي: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تَشاء و تَنزعُ الملك ممن تشاء و تعز من تشاء و تذل من تشاء بيدك الخير و أنت علي كل شيء قدير.﴾(آل عمران:٢٦)

آيات دعاء العبادة انما وردت علي سبيل التنزيه والتعظيم والتمجيد والثناء.

٢- دعاء المسألة والطلب: هو طلب العبد من ربه حوائجه و« ما كان فيه إظهار العبودية والخضوع والتذّلّل والإنكسار أي ما كان يخاطب معبوداً ، له أوامر و نواهٍ و في إجابته الثواب.»(المصدر نفسه،ص٦١)

من أدعية الطلب ما جري علي لسان موسي (عليه السلام) يسأل ربه: ﴿ربِّ اشرح لي صدري(٢٥)و يسِّر لي امري(٢٦) واحلُل عقدةً مِن لساني(٢٧) يفقهوا قولي (٢٨) واجعل لي وزيرا من أهلي (٢٩) هارون أخي (٣٠) اُشدد به ازري (٣١) و أشركه في أمري(٣٢).﴾(سورة طه، آيه ٢٥-٣٢)

« ماكان من الأدعية بلفظ (الله و اللّهمّ) فهو في الغالب دعاء عبادة و ماكان بلفظ (الربّ) فهو دعاء مسألة و طلب لِأنَّ فيه قضاء حوائج.»(المصدر نفسه،ص٦٢)

- غالباً ما تكون الصيغة في دعاء العبادة، خبرية، تخبر عن حال الداعي أوالمدعو أو كليهما، نحو دعاء نوح(عليه السلام): ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾ (هود:٤٧)

أما الصيغة في دعاء المسألة والطلب جاءت صريحة بلفظ (إفعل أو لاتفعل)

نحو: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ (البقرة:٢٨٦)

لاينتظر في دعاء العبادة إستجابة الدعاء أو عدم الإستجابة أما في دعاء المساله يغلب حق العبد في الاستجابة.

أساليب دعاء الأنبياء في القرآن الكريم

من الميزات البارزة في دعاء الانبياء في آلقرآن الكريم إختلاف أساليبهم في اللجوء إلي الله، فهم تارةً ينشدون الله بلسان مقالهم لطلب حاجاتهم و تارةً يدعون الله بلسان الحال سالكين طريق التوحيد والعبودية، مظهرين افتقارهم الدائم الي خالقهم:

نذكر كل منهما باختصار؛

١- اسلوب لسان المقال: «حميع الأدعية الطلبية ، تطلب باسلوب المقال ، فَكلّ دعاء صدر عن الانبياء، فيه إنشاء لطلب حاجاتهم فهو اسلوب بلسان المقال.» (طاهر،٢٠١٠م،ص١٢٣)

« يتم الدعاء بهذا الأسلوب طلباً باللسان و له صيغ مختلفة، في الإيجاب ما كان بصيغة «إفعل» وهودعاء لجلب المنفعة نحو قول ابراهيم (عليه السلام):

﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الشعراء: ٤٨)

و ماكان بصيغة (لاتفعل)، أي بطلب عدم الوقوع، لدفع الشر كقول نوح (عليه السلام):

﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (نوح:٢٦)

وقد تجتمع الصيغتان معا (النفي والايجاب في آنٍ واحدٍ) نحو: ﴿رَبَّنا لاتُؤاخِذنا إن نسينا أَو أخطأنا... واعفُ عنّا واغفِرلنا وَارحَمنا... ﴾ (البقرة: ٢٨٦)

٢- أسلوب لسان الحال: «يستدعي الدعاء بهذا الاسلوب عبادة البدن والتي تكون بالإنكسار والإستكانة»(المصدر نفسه،ص١٢٤)

الدعاء بلسان الحال دعاء سلوكي، و مظهر أخلاقي و حال إيماني، يبدو فيه المسلم مُوَحِّداً لله، بحيث تنطق أفعاله، انه لامعبود بحق سوي الله تعالي.» (الرضواني،بلا تا،ص٩)

«هكذا ترجم الانبياء دعائهم لبيان حالهم أمام خالقهم، واصفين أنفسهم بغاية الفقر والافتقار مقابل غناه و غاية العجز الي عونه مقابل قدرته و تصرفه و قيمومته ، معترفين بظلم أنفسهم رجاء عفوه و رحمته التي لايقدر عليها الّا هو.

لذا كان هذا الأسلوب يتضمن وصف حال الداعي بمعني أنّه يأتي بصيغة الإخبار و بحالات عدة، و فيه ثلاث اوصاف.

١- وصف حال السائل؛ تعكس هذه الأدعية افتقار الانبياء إلي الله تعالي مقابل غناه عنهم كما ورد علي لسان زكريا (عليه السلام): ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾ ﴾ (مريم،٤)

« وقد أورد (عليه السلام) في دعائه أموراً يستحق بهاالرحمة والشفقة، منها؛ ضعفه ظاهراً و باطناً اما الضعف الباطن فقد ظهر في العظام واما الضعف الظاهري فهو واضح باستيلاء الشيب علي الرأس واضطرامه في السواد. (طاهر،٢٠١٠م،ص ١٢٦)

٢- وصف حال المسؤول: «في هذا الاسلوب يقدم خبراً يصف الله تعالي بموجب الشكر. له والثناء عليه و بيان تفضل الله علي عبادهِ مع حاجتهم لإعانته و من ذلك قول يوسف (عليه السلام): ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (يوسف:١٠١)

فقد بين يوسف (عليه السلام) فضل الله عليه بأَنَّهُ آتاه من الملك و علّمه من تعبيرالرؤيا ثم وصفه بخالق السموات من غير مثال سابق فهذا وصف لله آتي به قبل الشروع بالدعاء.»(المصدر نفسه،ص١٢٤)

٣- وصف حال السائل والمسؤول: «ان الدعاء بهذه الحال هو أكمل الحالات حتي يصف أحد الانبياء نفسه بما يقتضي رحمته و مغفرة دينه و اعترافه بالعجز و يصف ربّه أنّه القادر المتصرف المنفرد بذلك.» (المصدر نفسه،ص١٢٦)

و من ذلك دعاء أيوب (عليه السلام): ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (الانبياء: ٨٣)

يقول ابن تيمية، «أنّ أيوب (عليه السلام)، وصف ربّه بوصف يتضمن سؤال رحمته بكشف ضره، و هي صيغة خبر تضمنت السؤال ، و هذا من باب حسن الأدب في السؤال والدعاء.» (المصدر نفسه،ص١٢٦)

النتائج

نختم بحثنا هذا بطائفة من النتائج ، نذكرها فيما يلي ؛

١- دعاء الأنبياء في القرآن الكريم شامل و جامع لكل الأدعية بكل اسإليبه و انواعه و موضوعاته .

٢- الشرط الأساسي في الدعاء الخشوع و الإفتقار و التذلل للخالق فإن فقد هذا الشرط لم يعد دعاءً كدعاء ابليس : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (ص:٧٩).....﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (ص:٨٣)

٣- كثرة النداء بصفة الربوبية (ربّ- ربّنا)و قلّته بصفة الألوهية(اللهمّ) لما في الربوبية من معاني التربية و التفضّل و اللجوء إلي مصدر الخير أملاً في الإجابة .

٤- استهلال آيات الدعاء بلفظ «الرب» الذي يفيد الخصوص، دون لفظ الجلاله(الله) الذي يفيد العموم، مع اضافته لضمير المتكلم(ي - نا) دون استخدام حرف النداء (يا) و ذلك تعبيراً لشعور الداعي بقربه من الربّ.

٥- أنّ الدعاء القرآني كلام فنّي مقصود وضع وضعا دقيقا و نسج نسجاً محكماً فريداً.

٦- انّ الجمل بنوعيها الإسمية و الفعلية تتناوب التعبير في الدعاء القرآني،تأتي الجملة الإسمية حينما يراد اثبات الصفة و استقرارها نحو:(الحمدلله رب العالمين)،و تأتي الجملة الفعلية عندما يراد تصوير الصفة بشكل متجدّد نحو : (إهدنا الصراط المستقيم).

٧- العبارة في الدعاء القرآني مسدّدة اللفظ ، محكمة الوضع ، جزلة التركيب ، متناسبة الأجزاء في التأليف

٨- تنوع اساليب الدعاء و تلوّن صيغه امر يضفي جمالاً و روعة علي المعني و يكشف سحره اللغوي.

٩- يأتي الدعاء احياناً بالاسلوب الخبري لأغراض شتّي منها التفاؤل في تحقق المطلوب، أو لإظهار الحرص في وقوعه أو تحقيقاً لثبوته.

١٠- اكثر صيغ الدعاء وروداً في القرآن الكريم، الدعاء بأسلوب الأمر ثم يليها النهي ثم الخبر و اقلّها بأسلوب الإستفهام،حيث ورد فعل الأمر مائة و ثماني و عشرين مرة و فعل النهي أربع عشرة مرة و جاء اسلوب الخبر اثنتي عشرة مرة و تكرّر أسلوب الإستفهام مرتين اما المصدر المنصوب فقد ورد مرة واحدة فقط.

١١- انّ الجمل بنوعيها الإسمية و الفعلية تتناوب التعبير في الدعاء القرآني،تأتي الجملة الإسمية حينما يراد اثبات الصفة و استقرارها نحو:(الحمدلله رب العالمين)،و

تأتي الجملة الفعلية عندما يراد تصوير الصفة بشكل متجدّد نحو: (إهدنا الصراط المستقيم). و اكثر صيغ الدعاء إستخداماً في القرآن الكريم هي الجمل الفعلية حيث جاءت مائة و ثلاث و خمسين مرة بينما وردت الجمل الإسمية ثلاث وستين مرةً.

Abstract

Quranic pray method is distincted by art statement and firm style and strong and unparatleled tissue.

this is essay is investgating stylish compound level in Quranic pray. and has an important role in showing the structural elements of Quranic pray.

the conclusion of this discussion shows that consists of compound dimension in Quranic pray like originative and predicative.

noun and verb clauses are used there alternately that is suitable for the kinds of pray then it shows kinds of formulas that are used in Quranic pray like imperative and negative interrogation.

choosing they styles and imperative sentences is not random but is has the most care lessness and influence on the reader and harmony is seen clearly between the sentences and their meaning.

Kay words : stylistic , Quranic pray , compound level , vocabulary , sentences kinds.

قائمة المصادر و المراجع

وخير مانبتدىء بهالقرآن الكريم.

١- ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرح عبدالرحمن، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر،بيروت،موسسة الرسالة،١٤٠٤ ه.

٢- ابن تيميه، احمد بن عبدالحليم،مجموع الفتاوي، السعودية،٢٠٠٤م.

٣- ابن سيده، ابوالحسن علي بن اسماعيل، المخصّص،بيروت دارالفكر، بلا تا.

٤- ابن فارس، احمد، معجم مقاييس اللغة،تحقيق: عبدالسلام هارون،بيروت،١٤٢٢ ق.

٥- ابن منظور ابوالفضل، جمال الدين محمد بن كرم،لسان لعرب ، بيروت، دار صادر،١٩٩٨م.

٦- ابو البقاء الكفوي، ايوب بن موسي،الكليات،معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية،تحقيق عدنان درويش و محمد المصري،دمشق،١٩٨١-١٩٨٢ م.

٧- الأندلسي الغرناطي، ابوحيان،البحر المحيط،،بيروت،دارالفكر،١٩٩٢م.

٨- بدوي، احمد،من بلاغة القرآن الكريم،نهضة مصر، القاهره،٢٠٠٥م.
٩- التهانوي، محمد علي،كشاف اصطلاحات الفنون،بيروت،دار الكتب العلمية،١٤١٨ه.
١٠- الحسيني،راشد بن حمد ، البني الأسلوبية في النص الشعري،ط ١، لندن،دارالحكمة،٢٠٠٤م.
١١- الخطابي، ابوسليمان،حمد بن محمد،شأن الدعاء، المحقق احمد يوسف الدقاق، دمشق،ذارالثقافة العربية،١٩٩٢ م.
١٢- الرضواني، محمود عبدالرزاق،اسماء الله الحسني الثابتة في الكتاب و السنة،مكتبة سلسبيل،القاهرة.
١٣- الزبيدي، محمد مرتضي، تاج العروس في جواهر القاموس، ،بيروت،دارإحياء التراث العربي،بلا تا.
١٤- السد،نورالدين، الأسلوبية و تحليل الخطاب،الجزائر،دار هومة،١٩٩٧م.
١٥- الشيخلي، بهجت عبدالواحد،بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز،الاردن، مكتبة دنديس،٢٠١٥ م.
١٦- طاهر، وداد محمد نصر،دعاء الأنبياء في القرآن الكريم،نابلس: جامعة النجاح الوطنية،٢٠١٠م.
١٧- اللحياني، بهية بنت حامد، الدعاء في القرآن اساليبه و مقاصده و اسراره،جامعة ام القري،٢٠٠١م.
١٨- الهاشمي، احمد،.جواهرالبلاغة، قم،مؤسسةتحقيقات ونشرمعارف اهل البيت،١٩٤٣م

الملحقات

الجداول الإحصائية في تركيب الدعاء